تعزيز المبادئ القيمية المنوطة بالاستصلاح التنموي والعمراني

– تفعيل مبدأ (الثقة) في ضوء توجيه فقه الحديث النبوي –

د. قبلي بن هني

البريد الالكتروني: b.guebli@lagh-univ.dz

– جامعة الأغواط قسم العلوم الإسلامية

الملخص:

لا شك أن تحقيق النجاح والاستحواذ على آلياته واقعا في عرف المشاريع تعزيز الثقة في النفوس المخولة بتلك الوظائف، ولقد جاءت في السنة النبوية نصوص ومواقف تدل على اعتبار الثقة مصدرا أساسا للتعامل بين الناس، فلزم على الناصحين فتح المنافذ المهم لإقامة الصدق في التصرفات حتى تتمكن من تعزيز الثقة وتمكين تفعيل مقتضياتها في انجاح الأعمال والمكتسبات.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الحمد لله المنعم الوهاب، وصلى الله على محمد النبي الأواب، وآله وصحبه وسلم تسليما كثيرا وبعد:

إن من أعظم توجيهات الشريعة الإسلامية ومحاسن مقاصدها الجليلة، تهذيب النفوس وتزكيتها بغية تحصيل جميل التصرفات، وكريم الصنائع في باب المعروف وخدمة الناس، على غرار جلب النفع التنموي والحراك العمراني، وما تعلق بأصول المعاملات النفسية والمادية والمالية وغيرها.

ومما لا شك فيه أن رعي قضايا التنمية وتكريس المناهج لتطوير معاييرها البنيوية باب عظيم وأمر كبير، يقوم به أهل الهمم وذوو الضمائر الرواسخ من أساطين الأئمة والمفكرين، لنوطه بإيصال لوازم التمدن وتحصيل الرغبات، وفق منظور تنظيمي وتنفيذي مندرج تحت نبادي عقدية ومسالك قيمية حضارية، فلا مناص إذاً من التحقق بتلك القوالب المرعية في المقاصد التنموية لما ظهرت به من عزة المطلب، وروءم الخدمة الإنسانية التي تحدوها المسالك القيمية والأخلاق السامية، إذ يقترن قوامها بهيبة الأمة، والتي هي إحدى ركائز قوتها وبسط نفوذها الحضاري. فلا بد والحال هذه من توثيق تلك الصِلات الاستصلاحية، وتحيين القدرات الفاعلة في المجتمع على المستوى التفكيري والمنهج التغييري المنضبط بالاصلاح المعرفي والعلمي، وفق سلم تنموي وتوعوي وتربوي بحيث تقتنص تلك الغايات والأحكام في ضوء الوعي المقاصدي من خلال فقه الحديث النبوي، بما يندرج تحت منظومة قيمية رأسها "تعزيز الثقة"، بغية تحسين المستوى وتفعيل النُظم للاستحواذ على آليات التنمية المحلية، مع الأمل أن تكون مستدامة واقعا أو توقعا.

ولما كان لهذا العنصر من الأهمية والفعالية للوصول إلى أسنى المطالب، وله علاقة مباشرة ومؤثرة التعزيز القيمي المنوط بالاستصلاح العمراني والتوافق الحضاري، ولذا ارتأيت أن تكون فكرة بحثي تحت عنوان: " **تعزيز المبادئ القيمية المنوطة بالاستصلاح التنموي والعمراني – تفعيل مبدأ (الثقة) في ضوء توجيه فقه الحديث النبوي –**".

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

– توطئة (فيها بيان أهمية والموضوع وتحديد إشكاليته):

تكمن أهمية هذا الموضوع في ما يتعلق بهذا الجانب الأساس، وذلك لكون مكسب مهم، بما يعدّ كقطب رحى القضية الذي يستوجب على الراعي والرعية حفظه في النفوس والأعمال.

ولتحصيل تلك المفاهيم في معهود القارئ الكريم يلزم من تحديد إشكالية هذه الفكرة، وتقديم تقرير للإجابة على الأسئلة التالية: فما هو الدافع لهذه المعطيات أن تطفو وترسى دون تحقيق الهدف ويجد لها أطراف من الناس مساغا؟ وما هي مناهج ومنافذ تفعيل هذا العنصر المهم؟ وكيف يتم توظيف المادة العلمية والمنهجية المستحدثة وآليات التزود المعرفي لإزالة كل الغموض من خلال التجربة المكتسبة التي تقوم بها اللجان المختلفة؟.

– مفهوم مصطلح (الثقة) في الوضع اللغوي:

الثقة في اللغة: من مادة (و ث ق)، وهي مصدر وثِق به يثِق، وثاقة وثقة ائتمنه، وأنا واثق به وهو موثوق به، وهي موثوق بها وهم موثوق بهم. ويقال: فلان ثقة وهي ثقة وهم ثقة، ويجمع على ثقات في جماعة الرجال والنساء. ووثقت فلانا إذا قلت إنه ثقة. وأرض وثيقة: كثيرة العشب. والوثاقة: مصدر الشيء الوثيق المحكم، والوثاق اسم الإيثاق. والحبل أو الشيء الذي يوثق به وثاق، وأوثقه في الوثاق أي شده. ويقال: استوثقت من فلان وتوثقت من الأمر إذا أخذت فيه بالوثاقة، وأخذ الأمر بالأوثق أي الأشد الأحكم[1].

– مفهوم لفظة (الثقة) في الاستعمال الشرعي والاصطلاحي:

الثقة شرعا: هي التي يُعتمد عليها في الأقوال والأفعال[2]، وهي ترادف بذلك الائتمان. وهي في الرجل وفقه النفس بمعنى العدالة، وحدها عند أئمة الأصول والحديث: "هيئة راسخة في النفس تحمل على ملازمة التقوى والمروءة جميعا حتى تحصل ثقة النفوس بصدقه"[3].

1- **لسان العرب** لابن منظور مادة (و ث ق) – دار صادر – بيروت الطبعة: الثالثة – 1414 هـ (371/10).

2- **التعريفات** للجرجاني دار الكتب العلمية بيروت – لبنان الطبعة: الأولى 1403هـ -1983م (ص72).

3- **المستصفى** للغزالي – الكتب العلمية الطبعة: الأولى، 1413هـ – 1993م (ص125). وينظر: **أثر علل الحديث في اختلاف الفقهاء** ماهر ياسين فحل: دار عمار للنشر، عمان الطبعة: الأولى، 1420 هـ – 2000 م (ص93).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وبهذا المعنى استعملها فقهاء الشريعة وعلماء الفنون الاصطلاحية على غرار المحدثين، الذين جعلوها شرطا أساس في الراوي مع العدالة والتحديث عن الشيخ من دون واسطة. لأنه إذا اجتمعت الأمانة في الدين والأمانة في العلم صار بذلك المحدث ثقة مأمونا وخبره مقبول معتد به علما وعملا.

كما حدّث الربيع قال: أنبأ الشافعي رضي الله عنه قال: "إذا حدث الثقة عن الثقة حتى ينتهي إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو ثابت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولا يترك لرسول الله صلى الله عليه وسلم حديث أبدا إلا حديث وجد عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حديث يخالف"[1]. وقال الخطيب البغدادي في الكفاية: "خبر الثقة الأمين عنه مقبول ومعمول به"[2].

بل صرح أهل العلم أن اعتبار هذا الوصف في نقلة الحديث خاصية الأمة الإسلامية، فقد قال الإمام ابن حزم: "ما نقله الثقة عن الثقة كذلك حتى يبلغ إلى النبي صلى الله عليه وسلم، يخبر كل واحد منهم باسم الذي أخبره ونسبه، وكلهم معروف الحال والعين والعدالة والزمان والمكان.. يعرف ذلك من كان من أهل المعرفة بهذا الشأن والحمد لله رب العالمين وهذا نقل خص الله تعالى به المسلمين دون سائر أهل الملل كلها"[3].

وأما في عرف الأصوليين فإن مقصودهم بالثقة يتناسب تماما مع معنى الاحتياط[4]، وهو مستنبط من مادته في اللسان واضعا، قال الفيومي: "احتاط للشيء افتعال، وهو طلب الأحوط

1- **المدخل إلى السنن الكبرى** للبيهقي – حققه محمد ضياء الرحمن الأعظمي – دار الخلفاء للكتاب الإسلامي – الكويت، دط/دت. (ص104 –برقم: 24).

2- **الكفاية في علم الرواية** للخطيب – حققه أبو عبد الله السورقي وإبراهيم المدني – المكتبة العلمية –المدينة المنورة (ص51).

3- **الفصل في الملل والأهواء والنحل** لابن حزم – مكتبة الخانجي – القاهرة – دط/دت (68/2).

4- قال الإمام الشاطبي في **الموافقات** – حققه مشهور بن حسن آل سلمان – دار ابن عفان، الطبعة:1417/01ه (294/1): "الاحتياط للدين ثابت من الشريعة، مخصص لعموم أصل الإباحة إذا ثبت".

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأحظ، والأخذ بأوثق الوجوه"[1]. ويكون في المآل راجعا لمقتضى "حفظ النفس عن الوقوع في المآثم"[2]، وهذا القيد جامع بين التوثّق والطلب اليقين في النفس لحفظها من الشرور والآلام.

أما عند أرباب السلوك فهي ترادف معنى التوكل والتسليم المطلق لله تعالى في الحوائج، كما جزم به صاحب المنازل بقوله: "الثقة: سواد عين التوكل، ونقطة دائرة التفويض، وسويداء قلب التسليم"[3]. ووما يشهد له من الآثار قول الحسن البصري: "إنَّ توكلَ العبد على ربِّه أنْ يعلمَ أن الله هو ثقته"[4].

– عرَض (الثقة) ومقاصده في تصرفات الشارع الحكيم:

على غرار ما سيق آنفا نلتمس من نصوص الكتاب والسنة، بالتعويل على مقاصدها، أن الثقة ملحوظة شرعا ومقصودة دينا وعقدا. قولا وعملا، فمن الأول في قوله تعالة: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا} [الحجرات: 6]. ومن الآخر حيث نبّه الله تعالى عليه في قوله سبحانه: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِنْ دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا} -الآية- [آل عمران: 118].

فـــ "المنهي عن اتخاذهم بطانة هم الذين كانوا يموهون على المؤمنين بأنهم منهم، ودخائلهم تقتضي التحذير من استبطانهم"[5]. وهذا استدلال بالضد على ثبوت الوجه المقابل، فلزوم اعتبار التوثيق شرط في الوظائف الحكومية والتراتيب الإدارية، لأنها تتعلق بمصالح الأمة ومنافع أفرادها.

1- **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير** للفيومي – المكتبة العلمية – بيروت، دط/دت (مادة: ح و ط) (157/1).

2- **التعريفات** للجرجاني (ص12).

3- ينظر: **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين** لابن القيم – حققه محمد المعتصم بالله البغدادي – دار الكتاب العربي – بيروت – الطبعة: 1416/03 هـــ (142/2).

4- رواه ابن أبي الدنيا في كتابه: **التوكل على الله** – تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا – مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت – لبنان، الطبعة: 1413/01 هـــ (ص54 –ح18).

5- نقلا من: **التحرير والتنوير** لابن عاشور – الدار التونسية للنشر – تونس، دط/1984 هـــ (63/4).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ومما جاءت به نصوص السنة النبوية لتثبيت هذا المبدأ العملي، ما صح من حديث أبي سعيد الخدري، عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: "ما بعث الله من نبي، ولا استخلف من خليفة، إلا كانت له بطانتان: بطانة تأمره بالمعروف وتحضه عليه، وبطانة تأمره بالشر وتحضه عليه، فالمعصوم من عصم الله تعالى"[1].

وثمة حديث صريح في هذا المقام، أن أبا حميد الساعدي، قال: استعمل رسول الله صلى الله عليه وسلم رجلا على صدقات بني سليم، يدعى ابن اللتبية، فلما جاء حاسبه، قال: هذا مالكم وهذا هدية. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "فهلا جلست في بيت أبيك وأمك، حتى تأتيك هديتك إن كنت صادقا"[2].

فالمقصود منه أن الثقة مقياس في نفوس المؤتمنين في الولايات وغيرهما، "فيراعي أهل الثقة والأمانة منهم فيقرهم، ويبعد من ظهرت خيانته ويشهر أمره؛ لئلَّا يغتر به من لا يعرفه، وقد قيل: إن الحماة وولاة المعاون أخصّ بالنظر في أحوال هؤلاء من ولاية الحسبة وهو الأشبة؛ لأنَّ الخيانة تابعة للسرقة"[3].

والمعصوم من الزلل قليل في زمن ضعف الديانة وقلة الورع، فـــ "إِذا وجد من بعض خدمه هفوة أَو تقصيرا لم يأْته عمدا لم يَأخذهُ بذنب الدهر وعوائق الزمان، مع حسن الثقة وجميل الظن فيه فليس من الزلل أَمان ولا إلى العصمة سبيل"[4]. هذا في من ثبت فيه عقد الإسلام، فضلا عن اشتراطها في عمال أهل الكتاب من الذميين والمعاهدين، فـــ "الثقة لا بد من رعايتها، وليس الذمي

1- رواه البخاري في **الصحيح**: كتاب الأحكام – باب بطانة الإمام وأهل مشورته (77/9 –ح7198).

2- رواه البخاري في كتاب الحيل – باب احتيال العامل ليهدى له (28/9 –ح6979). وفي رواية: "أفلا قعدت في بيت أبيك وأمك، فنظرت أيهدى لك أم لا؟"، يرويها في كتاب الايمان والنذور باب: كيف كانت يمين النبي صلى الله عليه وسلم (130/8 –ح6636). وهو عنده في كتاب الأحكام – باب هدايا العمال (70/9 –ح7174).

3- نقلا من: **الأحكام السلطانية** للماوردي – دار الحديث – القاهرة – دط/دت (ص370).

4- **تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك** للماوردي – حققه محي هلال السرحان وحسن الساعاتي – دار النهضة العربية – بيروت – دط/دت (ص245).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

موثوقا به في أفعاله وأقواله[1]، وتصاريف أحواله، وروايته مردودة، وكذلك شهادته على المسلمين"[2]. لذلك جاء عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه نهييه لأبي موسى الأشعري وتعنيفه لما استكتب ذميا، وفي الأثر أنه لما "قدم أبو موسى الأشعري على عمر رضي الله عنهما بحساب فرفعه إلى عمر فأعجبه، وجاء عمر كتاب فقال لأبي موسى: أين كاتبك يقرأ هذا الكتاب على الناس؟ فقال: إنه لا يدخل المسجد. فقال لم! أجنب هو؟ قال: إنه نصراني، فانتهره وقال: لا تدنهم وقد أقصاهم الله، ولا تكرمهم وقد أهانهم الله، ولا تأمنهم وقد خونهم الله"[3].

وهذا الصنيع يتخرّج على تثبيت الولاء في النفوس، لتمكين آصرة الأخوة الإسلامية في تصرفات الأفراد بين الجماعة، استدامة للصلاح العام وحماية للأمة من الوهن والخبال، وهذا جزء من سيادة هيمنة حسن التعقل ودهاء أرباب القرار من نظار الجامعة الإسلامية من متفقهتها وحكمائها.

ومُنعم النظر في حكومة النبي صلى الله عليه وسلم وإدارة حربه وسلمه وأقضيته وصلحه، يجد أن ضابط الثقة باعث على تولية الأمناء المأمونون، واستقراء سريع في جريدة قادة السرايا وحملة الألوية وخلفائه على المدينة، وهؤلاء رفقاؤه ومستشاروه وسفراءه ووكلاؤه، وقراؤه وكتبته ومعلمو الناس، وأمناؤه على الحراسة والحجابة والقسامة والسعاة وغيرها من الوظائف، ليس منهم إلا الثقات الصادقون.

1- يراجع: **غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب** للسفاريني - مؤسسة قرطبة - مصر الطبعة 1414/02هـ (2/ص19).

2- **غياث الأمم في التياث الظلم** للجويني-حققه عبد العظيم الديب-مكتبة إمام الحرمين،الطبعة:1401/02 (ص156).

3- ذكره الإمام القرطبي -من دون عزو- في تفسيره **الجامع لأحكام القرآن** - تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش - دار الكتب المصرية - القاهرة، الطبعة: 03/ 1384هـ (179/4) ثم قال عقيبه: "فلا يجوز استكتاب أهل الذمة، ولا غير ذلك من تصرفاتهم في البيع والشراء والاستنابة إليهم. قلت: وقد انقلبت الأحوال في هذه الأزمان باتخاذ أهل الكتاب كتبة وأمناء وتسودوا بذلك عند الجهلة الأغبياء من الولاة والأمراء".

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

– منزلة (الثقة) وثمرتها العقدية والقيمية في منظومة التشريع الإسلامي:

تكميلا لمعاقد الأصل السابق، إذْ يُعد عامل الثقة معيار الايمان والتصديق المعبر عنه بالعدالة وقيام مقتضياتها في فقه النفس مثل الصدق والأمانة، ولذا كانت وصف الثقة أهم شروط العمالات الشرعية في المقررات السلطانية، وأكدوا على أنّ "الصدق يوجب الثقة والأمانة توجب الطمأنينة"[1]. فعلى ذلك مدار حكم السلوك والتصرفات وزاد السير إلى الله تعالى، فإذا توفرت من هذا الوجه أنتجت الثقة التي هي بمعنى الائتمان وتتضمن عدم الشك في الفرد الذي وثق ورزق القبول، وخاصة إذا خالطه الورع والزهد في أغراض الدنيا وحسن السلوك، والمحاسبة ودوام المراقبة التي يثمرها قوة التوحيد وعظم الخوف من عالم الغيب والشهادة، وهذا الوازع القائم في النفوس من أقوم البواعث على صلاح الأعمال الظاهرة والباطنة.

وهي على مراتب باعتبار تعلقها: فأعلاها مرتبة (الثقة بالله تعالى): وبهذا المفهوم ترادف الإخلاص في الدين وحسن التوكل على الله تعالى، لأنه وحده النافع الضار ووحده المحي المميت، قال سبحانه: {قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ} [التوبة: 51]. قال الشيخ السعدي: "أي: يعتمدوا عليه في جلب مصالحهم ودفع المضار عنهم، ويثقوا به في تحصيل مطلوبهم، فلا خاب من توكل عليه، وأما من توكل على غيره، فإنه مخذول غير مدرك لما أمل"[2].

ومن أجل صور هذا المقام، ما تمثّله النبي صلى الله عليه وسلم في أصعب ظروفه حيث أظهر عليه السلام قوة التوكل وحسن الثقة بربه الذي هو ناصره ومؤيّده وحده سبحانه، من ذلك ما أنزل الله تعالى في حقه وهو في الغار، قال سبحانه: {إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا} [التوبة: 40]. فكان جزاؤه عليه السلام على هذا الثبات، قال سبحانه: {فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا} [التوبة: 40].

1- نقلا من: **سراج الملوك** للطرطوشي – نشره من أوائل المطبوعات العربية – مصر، دط/ 1289هـ، 1872م (ص58).

2- **تيسير الكريم الرحمن** للسعدي –حققه عبد الرحمن بن معلا اللويحق –مؤسسة الرسالة الطبعة:1420/01هـ (ص339).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

والأخرى الثقة بالنفس وفي النفس: وهي منطوية تحت التصرف وفق مكتسبات معرفية وكسبية، بميزان الحكمة وحسن التعقل وجميل الفطنة وما تعلق بذلك، حيث يكون العبد زمن الإقدام واثقا من أفعاله، وزمن الإحجام واثقا من تركه. وهذا معلوم من الفراسة ومحصول اليقين من جليل النظر والاعتبار، وقد قال الله تعالى: {إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْمُتَوَسِّمِينَ} [الحجر: 75]، وهم المتفكرون المتفرسون "الذين يتثبّتون في نظرهم حتى يعرفوا حقيقة الشيء بسمته"[1].

ومن أمثلته في سيرة النبي الكريم جوابه صلى الله عليه السلام لمولاه زيد بن حارثة حين قفوله من الطائف: إذ قال: كيف تدخل عليهم يعني قريشا وهم أخرجوك؟ فقال عليه السلام – وكله يقين وثقة–: "يا زيد إن الله جاعل لما ترى فرجا ومخرجا، وإن الله ناصر دينه ومظهر نبيه"[2]. وكان كذلك.

وثمة قسم ثالث وهو ما تعلق بالثقة في الغير: وذلك بمعنى الائتمان والتصرف بالتوكيل مع سلامة الصدر وإبطان الود وترك سوء الظن، وهذا محل مقصودنا من تحقيق البث ونشر المعروف وتحقيق المنظومة التنموية والدفع المادي والتنمية العمرانية، ما دام العمال والموكلون فيهم بذرة خير وحسن قصد في أعمالهم وتفعيل مركب النظام المصلحي للأمة قاطبة.

وهذه صورة من فقه السنة الثابتة في آثار الصحابة ومعرفتهم بالشرع ومقاصدهم الكلية والجزئية، فقد أخرج القاسم بن سلام بسنده عن سعيد بن المسيب، أن عمر بعث معاذا ساعيا على بني كلاب، أو على بني سعد بن ذبيان، فقسم فيهم حتى لم يدع شيئا، حتى جاء مجلسه الذي خرج به على رقبته، فقالت امرأته: (أين ما جئت به مما يأتي به العمال من عراضة أهليهم؟). فقال: "كان معي ضاغط". فقالت: (قد كنت أمينا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعند أبي بكر، أفبعث عمر معك ضاغطا؟). فقامت بذلك في نسائها، واشتكت عمر، فبلغ ذلك عمر، فدعا

1– نقلا من: **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** للبيضاوي – حققه محمد عبد الرحمن المرعشلي – دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: 01/ 1418 هـ (215/3).

2– أخرجه ابن سعد في **الطبقات الكبرى** – حققه إحسان عباس– دار صادر – بيروت، الطبعة: 1968/01م (212/1).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

معاذا، فقال: "أنا بعثت معك ضاغطا؟"، فقال: "لم أجد شيئا أعتذر به إليها إلا ذلك". قال: فضحك عمر، وأعطاه شيئا، وقال: "أرضها به"[1].

ولذا فإن لأهل العلم بالسياسة الشرعية تصوّرا دقيقا وتنظيرا مكينا في تبيين الشروط التي يروْن لزوم توفرها في العامل، فقد نقل أبو عبد الله القلعي عن بعض الحكماء قوله: "لا تستكف إلا الكفاة النصحاء، ولا تستبطن إلا الثقات الأمناء، وإذا استكفيتهم شغلا أو وليتهم أمرا فأحسن الثقة بهم، وأكد الحجة عليهم. فإذا رأيت منهم غدرا، وتبينت منهم عجزا، فاستبدل بهم، واستوف مالك عليهم، ولا تقلد منهم أحدا ولا تعتمد عليهم أبدا. فمن عارض مع الاستقلال، والأمانة قمع كفاته وعماله، ومن قلد مع العجز والخيانة ضيع أعماله وماله"[2].

ولكن لا بد من إشارة هنا، وهي أن الثقة المطلقة عن كل قيد، أو عارية عن أي قرينة لا تكون إلا مع ذوي نفوس الأبية المخلصة، إذ أن ثمة نوعا من الثقة المفرطة في أناس تعود بالضرر الراجح أو المتمحض في المفسدة وذلك بحسب كل من أعطي هذا وصف.

وقد تأصل ذلك في السنة النبوية بهذا الاعتبار من حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "المؤمن غر كريم، والفاجر خب لئيم"[3]. قال الخطابي في المعالم: "معنى هذا الكلام أن المؤمن المحمود هو من كان طبعه وشيمته الغرارة وقلة الفطنة للشر وترك البحث عنه وإن ذلك ليس منه جهلاً لكنه كرم وحسن خلق وإن الفاجر من كانت عادته الخب والدهاء والوغول في معرفة الشر وليس ذلك منه عقلا لكنه خب ولؤم"[4].

1- أخرجه القاسم بن سلام في كتاب: **الأموال** - حققه خليل محمد هراس - دار الفكر - بيروت - دط/دت (ص710 - برقم 1913). ثم بين معنى (الضاغط)، حيث أسند عن ابن جريج: أن قوله: ضاغطا، يعني به ربه [تعالى].

2- **تهذيب الرياسة وترتيب السياسة** للقلعي - حققه إبراهيم يوسف مصطفى عجو - مكتبة المنار - الأردن الزرقاء، الطبعة: الأولى/دت (ص141).

3- رواه أبو داود في **السنن** من كتاب الأدب - باب في حسن العشرة (250/4 -ح4790).

4- **معالم السنن** للخطابي - المطبعة العلمية - حلب، الطبعة: 1351/01 هـ (108/4).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

وقد جاء في "الخب المخادع" من الوعيد ما روي من حديث أبي بكر الصديق، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لا يدخل الجنة بخيل ولا خب ولا خائن ولا سيئ الملكة.."[1] – الحديث–. لأن معنى الخب يعود إلى معنى الخيانة والمكر والدهاء الخبيث والفحش واللؤم، قال الشاعر:

وما أنت بالخب الختور ولا الذي إذا استودع الأسرار يوما أذاعها[2]

هذا وإنه مما أثر عن السلف، مقولة خطيرة النفع ومهذّبة للنفس، منسوبة لإياس بْن معاوية[3]، قال فيها رحمه الله: "لست بخب والخب لا يخدعني"[4]. ومما جاء من الوصايا الحكيمة والقول البليغ ما رواه البيهقي في الشعب عن عمر بن عبيد، قال: قال ابن المقفع: "لا تنتصحن حاسدا، ولا تؤاخين أحمقا، ولا تعاشرن خبا، ولا تصدقن كاذبا، فإن منتصح الحاسد مغرور، ومؤاخي الأحمق نادم، ومعاشر الخب مغبون، ومصدق الكاذب كمتبع السراب"[5].

وقد يكون لنا في قصة العرنيين درسا عظيما، حيث روى أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: أن رهطا من عكل، ثمانية، قدموا على النبي صلى الله عليه وسلم، فاجتووا المدينة، فقالوا: يا رسول الله ابغنا رسلا، قال: "ما أجد لكم إلا أن تلحقوا بالذود"، فانطلقوا، فشربوا من أبوالها وألبانها، حتى صحوا وسمنوا، وقتلوا الراعي واستاقوا الذود، وكفروا بعد إسلامهم، فأتى الصريخ

1– رواه بسند ضعيف أحمد في **المسند** بتحقيق شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، وآخرون– إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي – مؤسسة الرسالة– الطبعة: 1421/01 هـ (191/1 –ح13). لكنه يدخل في جنس أهل النفاق لقوله تعالى: {إِنَّ الْمُنَافِقِينَ يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَهُوَ خَادِعُهُمْ } [النساء: 142].

2– ينظر: **لسان العرب** لابن منظور مادة [خ ب] (341/1).

3– ترجم له الذهبي في **سير أعلام النبلاء** – حققه مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط – مؤسسة الرسالة، الطبعة: 1405/03هـ (155/5 –برقم:56) قال: "إياس بن معاوية أبو واثلة المزني، قاضي البصرة،العلامة، أبو واثلة.. كان يضرب به المثل في الذكاء، والدهاء، والسؤدد، والعقل.. وقد وثقه: ابن معين.. توفي: سنة إحدى وعشرين ومائة، كهلا"..

4– أخرجه وكيع في **أخبار القضاة** – حقق: صححه وعلق عليه وخرّج أحاديثه: عبد العزيز مصطفى المراغي – المكتبة التجارية الكبرى، الطبعة: 1366/01هـ (348/1). ومعلوم أنها اشتهرت عند الكتاب من قول "أمير المؤمنين عمر بن الخطاب".

5– **شعب الإيمان** للبيهقي – حققه عبد العلي عبد الحميد حامد، بإشراف مختار أحمد الندوي – مكتبة الرشد مع الدار السلفية ببومباي بالهند – الطبعة: 01/ 1423 هـ (65/12 –ح9040).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

النبي صلى الله عليه وسلم، فبعث الطلب، فما ترجل النهار حتى أتي بهم، فقطع أيديهم وأرجلهم، ثم أمر بمسامير فأحميت فكحلهم بها، وطرحهم بالحرة، يستسقون فما يسقون، حتى ماتوا، قال أبو قلابة: قتلوا وسرقوا وحاربوا الله ورسوله صلى الله عليه وسلم، وسعوا في الأرض فسادا"[1].

ومن حديث أنس رضي الله عنه أيضا، أن رعلاً وعصيةَ وذكوانَ وبني لحيانَ أتوا النبي صلى الله عليه وسلم فأخبروه أنهم قد أسلموا، واستمدوا على قومهم، فأمدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بسبعين من الأنصار، قال: كنا نسميهم القراء في زمانهم، كانوا يحتطبون بالنهار، ويصلون بالليل، حتى إذا كانوا ببئر معونة غدروا بهم فقتلوهم، فقنت النبي صلى الله عليه وسلم شهرا يدعو على هذه الأحياء: عصية، ورعل، وذكوان، وبني لحيان"[2]. وفي رواية ذكر من شأنهم، قال: "كان شباب من الأنصار يسمون القراء يكونون في ناحية من المدينة يحسب أهلوهم أنهم في المسجد، ويحسب أهل المسجد أنهم في أهليهم، فيصلون من الليل حتى إذا تقارب الصبح احتطبوا الحطب، واستعذبوا من الماء، فوضعوه على أبواب حجر رسول الله، فبعثهم جميعا إلى بئر معونة، فاستشهدوا، فدعا النبي صلى الله عليه وسلم على قتلتهم أياما"[3].

ومحل الشاهد من القصتين، خبث طويّة القوم هؤلاء الذين أظهر الإسلام وأبطنوا المكر والخديعة، وما زالوا حتى نالوا الثقة الكاملة من النبي صلى الله عليه وسلم وصحابته الأفاضل رضي الله عنهم جميعا.

وإنا نلفت النظر إلى عدم معالجة الوحي لهذه القضية، ففيه دليل على مشروعية اجتهاد النبي صلى الله عليه وسلم، ويغلب الظن فيه مرعاة أصول التشريع، وطلب إعمال العقل، وانتحال الشورى في تحقيق المسائل طلبا لمزيد الأجر، وحتى يكون التمحيص والتحري في الملابسات من خصائص الربانيين، وفيه ترك تلك الفسحة للناصحين من الأمة حتى يبتلي بهم من دونهم، والله تعالى أعلم.

1- رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير - باب: إذا حرق المشرك المسلم هل يحرق (62/4 -ح3018).

2- رواه أحمد في **المسند** (21/ 253 -ح13683).

3- رواه ابن حبان في **الصحيح** - حققه شعيب الأرنؤوط - مؤسسة الرسالة - بيروت، الطبعة: 02/ 1414ه [باب فضل الصحابة والتابعين رضي الله عنهم - ذكر وصف القراء من الأنصار] (253/16 -ح7263).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

– الأصول السلوكية في المنحى الاقناعي لتعزيز الثقة:

فعلى حد القاعدة النبوية في قوله صلى الله عليه وسلم: "إلا بحق الإسلام، وحسابهم على الله"[1]، فكل عبد موكول إلى سريرته ونيته ومبلغ علمه من تحصيل قصده، وما على الساعي إلى تنفيذ العمل صالحا تاما على الوجه المطلوب.

وحتى نمكّن لذلك في بوتقة التنمية بما ارتبطت به من المناحي التربوية والقيمية والنفسية، كان من المهمات تمحيص الأساليب الإقناعية من الفاعلية المباشرة في زخم الارتقاء الحضاري، والتي يظهر أثره واقعا باعتبار همم الراسخين في أفعالهم وأقوالهم، ونيل حظهم في خدمة الأمة المسلمة، بشتى الصور الطرق والأساليب المشروعة طبعا، على غرار الوعظ والإرشاد والتربية والتعليم، مع دوام النصيحة والتوجيه والتثقيف، وما انطوى تحت أصول الوعي التنموي مكللا بالتفسير والإيضاح والتفصيل.

فإن ذلك كفيل أن يعطي نتائج إيجابية وكاملة ما اقترن كل ذلك بـــ "الصدق الذي هو ملاك الاستقامة وبثّ الثقة بين أفراد الأمة"[2]، وهذا من أجل خصائص أهل الإيمان واليقين الناصحين الذين يحبون الحق ويرحمون الخلق، كما قال الحافظ ابن حجر: "من كان حامل الإيمان فهو متصف بالشفقة على خلق الله قولا بالخير وسكوتا عن الشر وفعلا لما ينفع أو تركا لما يضر"[3].

ثانيا: من المعلوم أن فن التعامل مع الناس فضيلة حتمية في الجانب النفسي، لأن الدعوة إلى الله عز وجل تحتاج من الداعية حسن التعامل ومرونة السياسة، وبذل الإحسان بالكلمة الطيبة، مراعيا في ذلك تباين الأفهام ومستويات العقول وتنوع الأعراف الخطابية ونحو ذلك. لأنه إذا كان القائم على أي مشروع يريد تقديم برامجه بعناية فائقة، يبتغي بذلك كسب الثقة لا بد له أن يتحلى بكثير

1- رواه البخاري في كتاب الإيمان – باب: {فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلوا سبيلهم} (14/1 -ح25).
2- **التحرير والتنوير** للطاهر بن عاشور (ج185/3).
3- **فتح الباري شرح صحيح البخاري** لابن حجر – دار المعرفة – بيروت، الطبعة:1379/01. (446/10).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

من الفضائل والمناقب في تعامله وعشرته مع الناس، والدليل عليه قول الرسول صلى الله عليه وسلم : "المؤمن يألف ويؤلف، والاخير فيمن لا يألف ولا يؤلف، وخير الناس أنفعهم للناس"[1].

ثالثا: العمل التنظيمي والتقنيني يحتاج من صاحبه درجة عالية من الصبر والحلم لزيادة المعارف، ويكون له حنكة في التدرج لإصلاح الأخطاء وتقويم العطب المتحكم بعادة الناس لها. بحيث يكتسب خبرة تؤهّله في امتلاك نظرة شاملة تركز على كافة الجوانب والملابسات وإعمال الفكر والوعي بالقضايا والاطلاع على الحقائق. فهذا التوجه الإيماني والسلوك القيمي المنضبط ينتج في القلب عدم اليأس عند استثقال المهمة، ومجافاة أهل التثبيط والحذر من تفويت الفرص، والاعتقاد أن ما يقوم به العبد إنما لوجه الله تعالى وأن ما يلقاه من العقبات والمثبّطات إنما ليشد أزره، وليعلم أن أجر العامل بقدر نصبه كما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم في قوله لعائشة رضي الله عنها في عمرتها: "إن لك من الأجر على قدر نصبك ونفقتك"[2].

رابعا: التبيّن والتثبت من كل واقعة وتحقيق ملابساتها على الوجه الشمولي، والممحص بدقة، حتى لا تضيع الحقوق ويظلم البريء، فلا بد من قطع دابر الشكوك وسيئ الظنون وإلا دبت الفرقة وضاع الجهد سدا. والله تعالى يقول: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فَعِنْدَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ كَذَلِكَ كُنْتُمْ مِنْ قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا} [النساء: 94]. قال العلامة ابن عاشور: "وقد دلّت الآية على حكمة عظيمة في حفظ الجامعة الدينية، وهي بثّ الثقة والأمان بين أفراد الأمّة، وطرح ما من شأنه إدخال الشكّ لأنّه إذا فتح هذا الباب عسر سَدّه، وكما يتّهم المتّهمُ غيرَه فللغير أن يتّهم مَن اتّهمه، وبذلك ترتفع الثقة ويسهل على ضعفاء الإيمان المروق، إذ قد أصبحت التهمة تُظلّ الصادق والمنافق"[3].

1- رواه الطبراني في **المعجم الأوسط** دار الحرمين . القاهرة (ح 5787/ج6/ص 58) عن جابر بسند حسن صحيح.

2- رواه الحاكم في **المستدرك على الصحيحين** وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه وله شاهد صحيح. [دار الكتب العلمية - بيروت الطبعة: الأولى، 1411 - 1990] (ح1733/ج1/ص 644).

3- **التحرير والتنوير** لابن عاشور (168/5).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

– تعزيز (الثقة) السبيل المكين لإنجاح مشاريع المؤسسات التنموية:

لا شك أن "الفعالية في التنمية الاجتماعية والاقتصادية الرامية إلى تحسين المستوى الانتاجي وتكييف الظروف المعيشية على وفق المستجدات، فعادت الثقة مطلبا جوهريا وضروريا .. ومتى قامت الثقة في العاملين ببرامج التنمية تم كل شيء دون مقاومة وسهلت عملية الإقناع"[1]، ولذا أضحى كل عمل مؤسسي تنموي ينْبني على قاعدة تمويلية تروم الخدمة الاجتماعية بمختلف توجهاتها الربحية والخيرية وغيرهما، وذلك لتحقيق مقتضيات الترقية والتوعية المدنية في شتى ميادينها، "وترجع هذه القاعدة إلى عامل جوهري وهام في العمل الاجتماعي وهو كسب ثقة أبناء المجتمع، ولا يمكن الحصول على الثقة بدون أن يشعر أبناء المجتمع بأن هناك فائدة أو منفعة ملموسة يحصلون عليها من جراء إقامة مشروع اجتماعي أو اقتصادي في مجتمعهم"[2].

ومن حيث استجلاء المناحي الفكرية التي يعوّل عقلاء الأمة على بناء مقوماتها آخذين بعين الاعتبار أن "الفكر التنموي المعاصر [يمر] بأزمة عميقة، فقد انعدمت الثقة في كثير من الأفكار والمبادئ التي سادت في نظريات التخلف والتنمية"[3]. فاهتدت السلطات المخولة على المستوى المحلي والإقليمي، في ضوء سياساتها التنموية في كافة ميادينها الحيوية وفق متطلبات العصر الحديث، وتثمين مبدأ الثقة وتعزيزه عمليا في الحراك الاقتصادي والتمويل المالي خاصة لأنه قطب رحى المدنية وحسن تسييره محور النمو العمراني والرقي الحضاري.

فجعل الثقة عاملا جوهريا وعده قناة قلبية مرتبطة ارتباطا وثيقا بالوازع الديني، الذي يعد مكمنا رئيسا في النفوس الصادقة في إنتمائهم لهذا الدين، إذ لا يكاد يخفى على عاقل أن "الإسلام له نظرة إلى المال ذات طبيعة خاصة، فهو تراه وسيلة من وسائل الإعمار والاستخلاف، ولا تسمح بأن

1 **التنمية الاجتماعية المفهومات الأساسية نماذج ممارسة** لأحمد مصطفى خاطر – المكتب الجامعي الحديث – الاسكندرية، دط/ 2002 (ص32).

2– المرجع نفسه (ص32).

3– **التنمية الاقتصادية** لعادل مختار الهواري – دار المعرفة الجامعية – مصر ، دط/1998 (ص95).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ينقلب إلى أداة للجبروت والطغيان وما أكثر النصوص التي تشير إلى المترفين، وكونهم عنصر فساد وإفساد للمجتمع"[1].

وليس من نافلة القول حيث التحصيل لبوتقة المنظومة التأصيلية في ضوء التنظير المقاصدي لتلك المواقف، اعتبارا بانضباط المصلحة التي تدور مقتضياتها بين سلامة القصد وتحقيق معالم الفلسفة الفكرية والعلمية والميدانية، التي تستوجب تعزيز الثقة كمعوّل يُنتظم من خلاله مبدأ قانون التحصيل العملي –من الناحية الفقهية بالخصوص– والاستثمار الإيجابي من الناحية الواقعية. وإن كان لبعضِ الفئات متعلقات التفعيل –مع تحقيق محل النزاع– ليس له كبير أثر في الخلاف الفقهي، ولا مناص من أن حكم الحاكم يرفع الخلاف[2] في هذه المواضيع الخلافية.

والمقصود أن الثقة من منظور علومي الاجتماع والنفس بالمقارنة مع التنظير الشرعي من العناصر الفعالة في مجالات الالتقاء بين الثقافة والفكر الاجتماعي والتنمية الاجتماعية، فهي بعد توفيق الله التي تمكننا من العمل الجماعي، وتظل الثقة ضرورية لاقتحام المشكلات وتغيير الواقع وصناعة مستقبل الأجيال، وخاصة في المحور المحلي، فهي مصدر قيمي حيوي ومؤثر، إذْ تعطي لهذا المجتمع ذاتيته الدينية والثقافية المتميزة التي تجعله قادرا على التفاعل والازدهار والنمو والترقية على النحو السليم.

وليكن مثالنا في هذا السياق، استثمار أموال الزكاة في التمويل التجاري والصناعي والزراعي للفئات المعنية بالمصارف لجامع الفقر والعوَز والحاجة عموما. حيث تتساوى الفرص والمنح والعطايا، مع التأكيد على مهمة، وهي التوازن بين الأنظمة الرئيسية والهيئة القاعدية في التوجيه والفعالية والتكفل بالمحتاجين كان التوزيع استثماريا أو نفعا بحتا يعود على مصلحة الفرد بالتنمية والاستقرار.

1– من مقال: **الزكاة من منظور إقتصادي** لعبد المجيد قدي منشور بمجلة "رسالة المسجد" – الصادرة عن وزارة الشؤون الدينية والأوقاف– بدولة الجزائر – السنة الأولى، العدد 2–2003 (ص50).

2– **البهجة في شرح التحفة** لأبي الحسن التُّسُولي –دار الكتب العلمية لبنان بيروت الطبعة:1418/01هـ (134/1).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فتتخذ من ذلك سلّما توعويا يتماشى مع متطلبات العصر الحديث وظروفه المدنية، وقد أنعكس ذلك بشكل إيجابي ميدانيا -بغض النظر عن تبني السلطات لهذا المشروع-، وركزت على هذا المثال باعتبار أنّ الزكاة يمكنها أن تساهم بشكل فعال في معالجة الكثير من المشاكل الاقتصادية في دول العالم الإسلامي، الأمر الذي يجعل التفكير في تنظيمها وإحيائها في شكل مؤسساتي مسألة ذات أولوية، خاصة في الوقت الذي تعاني فيه هذه الدول من اختلالات شتى في الحياة الاقتصادية[1].

وتفسيرا لهذه الفلسفة لا بد من الحراك العملي الواقعي، والذي يضفي على المشروع الامتداد في الوسط المدني ليناغم مع طموح المواطن الذي لا يؤمن عادة إلا بالملموس والواقع التطبيقي. وبالنظر لمقاصد التشريع نلحظ أن ثمة أصولا مرعية تجلب للناظر اليقين في أن المصلحة العامة والخاصة تجري على هذا المنحى الإقناعي، والله تعالى يقول:{لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ} [البقرة: 256]، وخص أهلها بالأمانة[2] والدين وحسن السيرة، لأن الارتكاز على مبدإ الأمانة والقوة الوظيفية وصيانة الوديعة وأداء الحقوق وإعطاء الضمانات، ويكون اتخاذ القرارات وفق نظرية الشورى ومحض الحوار، لاستقبال النقد وتقصي ملابسات الخلاف لفكه، وتقبل وجهات النظر المختلفة التي تنتجها البيئات المتباينة، وذلك لرفع المعنويات ومحو ثقافة الشك[3] والتواصل مع الآخر لتكريس العقلية البناءة والفاعلة واقعا لا متوقعا، بحكم أن صنائع البشر يعتريها النقص عادة وطبعا، لذا لا بد من معرفة الخلاف لتكميل النقص.

وهذا أساس كل المعاملات التي تفتقر في تفعيلها وتحصيل نتاجها على الثقة، كما قال العلامة ابن عاشور: "وما جاء في هذا التشريع هو أصل من أصول رواج المعاملة بين الأمة لأن المعاملات تعتمد الثقة المتبادلة بين الأمة، وإنما تحصل بشيوع الأمانة فيها، فإذا حصل ذلك نشط الناس للتعامل فالمنتج يزداد إنتاجا وعرضا في الأسواق، والطالب من تاجر أو مستهلك يقبل على

1- ينظر: **التنمية الاجتماعية المفهومات الأساسية** لأحمد مصطفى خاطر (ص57).

2- قال ابن عاشور في **التحرير والتنوير** (204/8): "(أمين) وصف يجمع الصّفات التي تجعله بمحلّ الثّقة من قومه".

3- وقد قيل في علم النفس: "الشك منهج علمي للوصول إلى الحقيقة". قلت: التوسع في الشك في كل شيئ محل نظر؟

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

الأسواق آمنا لا يخشى غبنا ولا خديعة ولا خلابة، فتتوفر السلع في الأمة، وتستغني عن اجتلاب أقواتها وحاجياتها وتحسيناتها، فيقوم نماء المدينة والحضارة على أساس متين، ويعيش الناس في رخاء وتحابب وتآخ، وبضد ذلك يختل حال الأمة بمقدار تفشي ضد ذلك"[1].

وحتى تكون لهذا الأمانة ثمرة في الائتمان والثقة، حيث تحدد هدفا منشودا من مبتغي مثل هذه المشاريع الهادفة لا بد مما يلي:

- إشراك القوى العاقلة في التفكير والبرمجة، واتخاذ السواعد العاملة، حتى تتشكل الهيئة القاعدية النابعة من المجتمع، التي تتصف بمركب الأمانة والنزاهة والشعور بالمسؤولية، حيث تتولى إحصاء الفئات المحرومة ودرجة احتياجاتهم والعمل على توصيل الحقوق إليهم. ومن جميل النماذج الأثرية، ما روي من صنيع الخليفة عمر بن عبد العزيز كمثال على جليل السياسة التنفيذية التي نالت الرفعة والثقة من الرعية، حيث: "اجتهد رحمه الله في مدة ولايته حتى رد المظالم، وصرف إلى كل ذي حق حقه، وكان مناديه في كل يوم ينادي: أين الغارمون؟ أين الناكحون؟ أين المساكين؟ أين اليتامى؟ حتى أغني كلا من هؤلاء"[2].

فمكْمن الحذق والحزم في مبحثنا هذا أن "العمل: وضع وتنفيذ البرامج التاي تهدف إلى النهوض بهم، وذلك عن طريق إثارة الوعي بمستوى أفضل من الحياة تتخطى حياتهم التقليدية السائدة، وعن طريق إقناعهم بالحاجات الجديدة وتدريبهم على الوسائل الحديثة في الإنتاج وتعويدهم على أنماط جديدة من العادات الاقتصادية والاجتماعية مثل الادخار والاستهلاك"[3].

- تكامل مشاريع الخدمات التنموية والتنسيق بين الجهات الوصية بالتخطيط الشامل لإحداث التغيرات اللازمة في تقديم الحل وعلاج مشكلات المجتمع من مناحي استثمارية مثلا، "وهذا لا يعني بحال من الأحوال أن الاستثمار يجب أن يقتصر على المشاريع التي لها عائد مرتفع وترك المشاريع

1- **التحرير والتنوير** لابن عاشور (244/8).

2- نقلا من: **البداية والنهاية** لابن كثير - إحياء التراث العربي - الطبعة: 1408/01هـ (225/9).

3- ينظر: **التنمية الاجتماعية المفهومات الأساسية** لأحمد مصطفى خاطر (31) -بتصرف-.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

ذات العائد المنخفض، وإنما يجب أن تتكفل الدولة بمثل هذه المشاريع من أجل توفير الحاجات الأساسية لأفراد المجتمع"[1].

- إشعار المواطن بالمواطنة والإحساس بالغيرة على بلده ووطنه في ظل حكومته المسلمة، هو المحرك الأساس في أي معادلة اجتماعية تتوق إلى الاندفاع الحضاري، والدخول في دورة التاريخ الحضارية. فكلما زاد مستوى الإقناع زاد الرغبة في تنفيذ القناعة ومعالجتها للقضايا الواقعية بأكثر فعالية واهتمام.

- المحاسبة والرقابة على مستوى الأفراد والإدارة ويكون التقويم المهني بتأهيل وتدريب موظفي الصندوق تحت منظار الرقابة والمفتشية، وعد السماح لأي كان بالتلاعب والاستهانة والتصرفات غير اللائقة في تنفيذ البرامج الموكولة إليه، "ولقد حرص الإسلام على مراعاة عنصري القوة والأمانة في اختيار الأفراد لتولي المهام فقال الله تعا لى: {إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الْأَمِينُ} [القصص: 26] إذ إنه متى اجتمعت هاتان الصفتان الأمانة والكفاية في القائم بأداء أمر من الأمور تكلل عمله بالظفر وكفل له أسباب النجاح"[2].

- المنافذ العلمية والسلوكية في تعزيز (الثقة) في النفوس إعمالا وامتثالا:

حتى يستبين السبيل ويتحقق إدراك المقصود حيث يتم بتسطير أهدافها ومنظومتها التنفيذية لأنه "يعتبر اختلاف إدراك أهداف التنمية -المقصودة- بين كل المخططين والمنفذين وأفراد المجتمع معوقا للتنمية والتغيير فقد يعتقد واضعوا البرامج والمشروعات أن برامجهم ومشروعاتهم واضحة ومفهومة ومقبولة من الناس الذين وضعت من أجلهم ولكن بعد فترة من الزمن يتحول أناس عن المشروع لأن ما كانوا التنمية بمثل أكبر عقبة فيسبيل نجاح المشروع وتقبله مهما كانت أهمية المشروع وإمكانياته المادية والفنية يتوقعون حدوثه من المشروع لم يحدث ولم يتحقق... ولذا

1- نقلا من مقال: **الزكاة من منظور اقتصادي** لعبد المجيد قدي -مرجع سابق- (ص52).

2- المرجع السابق لعبد المجيد قدي (ص54).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

فإهمال الجانب الإنساني"[1] في التوعية والتأثير الاقناعي عادة يبعد العبد عن المطلوب ويتيه في أودية الأقاويل والدعاوى.

ولعل لا يكاد يخفى أنه يتقاسم هذه المهمة ثلاثة قوالب مؤثرة على العقل وإدراكاته، وعلى الفكر وتصوراته. وهي: التربية والموعظة والتعليم، وهي مجتمعة وفق هذا الترتيب في قول الله تعالى: {ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ} [النحل: 125]. وهي في نظري تعتبر أقوى المنافذ التي تثبت عزائم الأفكار والتسبب إلى تحقيق وجوه التنمية، وهذا تفصيلها:

*/ **منفذ الموعظة**: وهو المتمثل في (مؤسسة المسجد) ومفادها أن للمسجد في المجتمع الإسلامي دور عظيم في تنمية المجتمع وترشيده[2]، منذ تأسيسه في عصر النبي صلى الله عليه وسلم إلى يومنا هذا، ولا يقل هذا الدور في أهميته عن أثر المسجد في تكوين الفرد المسلم، وحري بمركز الإمامة أن يقوم بدوره في بناء المجتمع. لأنه مركز التوجيه والإشعاع ومنبر الهداية والإرشاد، فإلى جانب أداء الصلاة فيه جعله الشارع بمثابة مكتب للخدمة الاجتماعية وجميع التبرعات ومعاونة المحتاجين وغير ذلك.

ولا أدل عليه مما رواه مسلم بسنده عن المنذر بن جرير عن أبيه قال: كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم في صدر النهار قال: فجاءه قوم حفاة عراة مجتابي النمار أو العباء متقلدي السيوف،

1- ينظر: **التنمية الاجتماعية المفهومات الأساسية نماذج ممارسة** لأحمد خاطر (ص65).

2- يعتمد الخطاب المسجدي على استيراتيجية التوجيه الديني التي تم تحديدها من طرف الوزارة الوصية مراعاة للمرجعية الدينية والتاريخية للأمة، ويهدف القطاع من خلال مهمة الوعظ والإرشاد الموكلة للسادة الأئمة عبر المساجد إلى عدة أهداف واضحة من أهمها : - دعوة المجتمع إلى الالتفاف حول وحدة الأمة وذلك من خلال توعية المجتمع الفهم الصحيح لرسالة الإسلام السمحة بعيدا على التطرف والغلو، منتهجا في ذلك الوسطية والاعتدال بعيدا عن التهريج و التهويل.- دعوة الناس إلى التكافل و التضامن مع المحتاجين والمعوزين لإبعاد المجتمع عن الاستغلال و جلب الثقة و الأمل له- مشاركة المسجد في تقديم الخدمة الاجتماعية للأمة كالقيام بحملات تحسيسية في المجالات التالية:عملية التبرع بالدم، توجيه الأمة إلى الوحدة لاسيما في الاستحقاقات الكبرى للوطن، محاربة الآفات الخطيرة مثل الإدمان على المخدرات. .- التشنيع بدعاة الفتنة والمرجفين والمشككين الذين يروجون للإشاعات التي تحبط معنويات المجتمع، و تبث فيه اليأس وتضعف قواه، وتفك عراه.وتنحدر به نحو إلى الانحرافات والانزلاقات. وبهذه الإجراءات والتوصيات يتبوأ المسجد الريادة في قيادة الأمة.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

عامتهم من مضر بل كلهم من مضر فتمعر وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم لما رأى بهم من الفاقة، فدخل ثم خرج فأمر بلالا فأذن وأقام فصلى ثم خطب فقال {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ} إلى آخر الآية {إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا}[النساء: 1]، والآية التي في الحشر: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ مَا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَاتَّقُوا اللَّهَ} [الحشر: 18]. تصدق رجل من دينار من درهمه من ثوبه من صاع بره من صاع تمره حتى قال: ولو بشق تمرة قال: فجاء رجل من الأنصار بصرة كادت كفه تعجز عنها بل قد عجزت، قال: ثم تتابع الناس حتى رأيت كومين من طعام وثياب، حتى رأيت وجه رسول الله صلى الله عليه وسلم يتهلل كأنه مذهبة، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "من سن في الإسلام سنة حسنة ، فله أجرها..." -الحديث[1]-. ففيه دليل صريح على مكانة المسجد في خدمة المجتمع المدني افرادا وجماعة، فالمسجد في عصرنا بإمكانه أن يقوم بدوره في حل قضايا الأمة من خلال تنمية شعور التكافل الاجتماعي بين المسلمين، امتثالا بقوله تعالى: {وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُواْ اللّهَ إِنَّ اللّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ} [المائدة: 2]. فيشعرهم بانتمائهم للإسلام باعتباره دين التنمية الحضارية ويعزز فيهم الجانب الإنساني ويصرف عواطفهم إلى حفظ دينهم وتحقيق مقتضى العبودية على أتم الوجوه وبأقوم بيان.

*/ **منفذ التربية**: وتمثله في عصرنا مؤسستان -بمثابة القطب أو رأس الهرم- (المدرسة والجامعة)، وهما منارتا العقول ونبراس الضمائر وقائد الأرواح العلية، ومهد المكارم وصناعة الأفكار الهادفة، حيث تكمن أهم مهامهما في تكوين الباحثين وترقية الإطارات المتخصصة في شتى العلوم والمعارف الإنسانية والكونية. وهؤلاء (أهل الصفة) -أضياف الإسلام- في الصدر الأول من مشروع الإسلام، كيف نالوا شرف خدمة الدين، وتعزيز تلك القيم والسعي الحثيث في تمكين السلوك الحضاري.

*/ **منفذ التعليم**: وتشترك فيه كل المؤسسات ذات النظم العلمية والتكوين المعرفي والمسار المهني الأكاديمي وغيره، فلا بد أن تتسع نظرتا للعلم والمعرفة كقاعدة اجتماعية تبْنى عليهما أركانها

1- رواه مسلم في كتاب الزكاة - باب الحث على الصدقة ولو بشق تمرة (675/2 -ح1017).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

السلطانية ودعائمها الإدارية وأنظمتها التقنية. وترجمته في الواقع في جودة معدن عقلاء الأمة ومفكروها الأمناء، ومصداقه في قوله صلى الله عليه وسلم: "الناس معادن كمعادن الفضة والذهب، خيارهم في الجاهلية خيارهم في الإسلام إذا فقهوا"[1]. فهذه المعادن لما خال قلوبها بشاشة الإيمان وقويت عزائمهم انطلقت همم نحو الهند شرقا إلى أمريكا غربا، فهم الذي قهروا به جبروت الفرس والروم، وفتحوا الآفاق ونشروا روح الشريعة وفتّقوا العقول بما حصّلوا من معارف مختلفة ومكتسبات جليلة القدر، ولا يزال التاريخ يحفظ بعد عصر النبوية للعصر الذهبي هيبته وسلطانه بما صنع من حضارة الشام وبغداد ومصر ثم الأندلس، وهذا مسلّم به في عَقد كل مسلِم.

– خاتمة:

لعل أبرز النتائج المتوصل إليها من خلال هذا العرض لمضامين الثقة باعتباراتها المختلفة:

– تعزيز الثقة مطلب شرعي ومقصد نبيل، وسنة نبوية .

– الثقة مسعى استصلاحي في منظومة الحراك التنموي.

– الثقة أمر ثمين لا قيمة له بين المثمنات، بل أمر يقذفه الله في قلوب الصادقين.

– تعزيز الثقة مكسب قيمي يمثل قطب رحى النشاط الاجتماعي على كافة الاصعدة والميادين.

هذا ما اقتضاه النظر والله أعلم وبه ثقتي وعليه التكلان، وصلى الله على نبينا محمد بن عبد الله الهاشمي وسلم تسليما كثيرا، عليه وعلى آله وصحبه وإخوانه.

1– رواه مسلم في كتاب البر والصلة – باب الأرواح جنود مجندة (2031/4 –ح2638).

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

قائمة المصادر والمراجع:

- **أثر علل الحديث في اختلاف الفقهاء** ماهر ياسين فحل: دار عمار للنشر، عمان الطبعة: الأولى، 1420 هـ.
- **أخبار القضاة** لوكيع – حقق: صححه وعلق عليه وخرّج أحاديثه: عبد العزيز مصطفى المراغي – المكتبة التجارية الكبرى، الطبعة: 1366/01هـ.
- **الأحكام السلطانية** للماوردي – دار الحديث – القاهرة – دط/دت.
- **الأموال** للقاسم بن سلام – حققه خليل محمد هراس – دار الفكر – بيروت – دط/دت.
- **البداية والنهاية** لابن كثير – إحياء التراث العربي – الطبعة: 1408/01هـ.
- **البهجة في شرح التحفة** لأبي الحسن التُّسُولي –دار الكتب العلمية لبنان بيروت الطبعة :1418/01هـ.
- **التحرير والتنوير** لابن عاشور – الدار التونسية للنشر – تونس، دط/1984 هـ.
- **التعريفات** للجرجاني دار الكتب العلمية بيروت – لبنان الطبعة: الأولى 1403هـ –1983م.
- **التنمية الاجتماعية المفهومات الأساسية نماذج ممارسة** لأحمد مصطفى خاطر – المكتب الجامعي الحديث – الاسكندرية، دط/ 2002 م.
- **التنمية الاقتصادية** لعادل مختار الهواري – دار المعرفة الجامعية – مصر ، دط/1998.
- **التوكل على الله** لابن أبي الدنيا – تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا – مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت – لبنان، الطبعة: 1413/01 هـ.
- **الجامع لأحكام القرآن** للقرطبي – تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش – دار الكتب المصرية – القاهرة، الطبعة: 03/ 1384هـ.
- **الطبقات الكبرى** لابن سعد – حققه إحسان عباس– دار صادر – بيروت، الطبعة: 1968/01م.
- **الفصل في الملل والأهواء والنحل** لابن حزم – مكتبة الخانجي – القاهرة – دط/دت.
- **الكفاية في علم الرواية** للخطيب – حققه أبو عبد الله السورقي وإبراهيم المدني – المكتبة العلمية ، المدينة المنورة دط/دت.
- **المدخل إلى السنن الكبرى** للبيهقي – حققه محمد ضياء الرحمن الأعظمي – دار الخلفاء للكتاب الإسلامي – الكويت، دط/دت.
- **المستدرك على الصحيحين** للحاكم – دار الكتب العلمية – بيروت الطبعة: الأولى، 1411 – 1990م.
- **المستصفى** للغزالي – الكتب العلمية الطبعة: الأولى، 1413هـ – 1993م.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- **المسند** لأحمد بتحقيق شعيب الأرنؤوط وعادل مرشد، وآخرون- إشراف: د عبد الله بن عبد المحسن التركي - مؤسسة الرسالة- الطبعة: 1421/01 هـ .
- **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير** للفيومي - المكتبة العلمية - بيروت، دط/دت (مادة: ح و ط).
- **المعجم الأوسط** للطبراني - دار الحرمين - القاهرة مصر - دط/دت.
- **الموافقات** للشاطبي - حققه مشهور بن حسن آل سلمان - دار ابن عفان، الطبعة:1417/01ه.
- **أنوار التنزيل وأسرار التأويل** للبيضاوي - حققه محمد عبد الرحمن المرعشلي - دار إحياء التراث العربي - بيروت، الطبعة: 01/ 1418 هـ.
- **تسهيل النظر وتعجيل الظفر في أخلاق الملك** للماوردي - حققه محي هلال السرحان وحسن الساعاتي - دار النهضة العربية - بيروت - دط/دت.
- **تهذيب الرياسة وترتيب السياسة** للقلعي - حققه إبراهيم يوسف مصطفى عجو - مكتبة المنار - الأردن الزرقاء، الطبعة: الأولى/دت.
- **تيسير الكريم الرحمن** للسعدي -حققه عبد الرحمن بن معلا اللويحق -مؤسسة الرسالة الطبعة:1420/01هـ.
- **سراج الملوك** للطرطوشي - نشره من أوائل المطبوعات العربية - مصر، دط/ 1289هـ، 1872م.
- **سير أعلام النبلاء** للذهبي - حققه مجموعة من المحققين بإشراف شعيب الأرناؤوط -مؤسسة الرسالة، الطبعة: 1405/03هـ.
- **شعب الإيمان** للبيهقي - حققه عبد العلي عبد الحميد حامد، بإشراف مختار أحمد الندوي - مكتبة الرشد مع الدار السلفية ببومباي بالهند - الطبعة: 01/ 1423 هـ.
- **صحيح البخاري** - المحقق: محمد زهير بن ناصر الناصر - دار طوق النجاة (ترقيم محمد فؤاد عبد الباقي) الطبعة: الأولى، 1422هـ.
- **صحيح مسلم** - لمحقق: محمد فؤاد عبد الباقي - دار إحياء التراث العربي - بيروت. دط / دت.
- **غذاء الألباب في شرح منظومة الآداب** للسفاريني - مؤسسة قرطبة - مصر الطبعة 1414/02هـ.
- **غياث الأمم في التياث الظلم** للجويني -حققه عبد العظيم الديب - مكتبة إمام الحرمين، الطبعة:1401/02.
- **فتح الباري شرح صحيح البخاري** لابن حجر - دار المعرفة - بيروت، الطبعة:1379/01ه.
- **لسان العرب** لابن منظور مادة (و ث ق) - دار صادر - بيروت الطبعة: الثالثة - 1414 هـ.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com

- مجلة "**رسالة المسجد**" – الصادرة عن وزارة الشؤون الدينية والأوقاف– بدولة الجزائر – السنة الأولى، العدد 2-2003.

- **مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين** لابن القيم – حققه محمد المعتصم بالله البغدادي – دار الكتاب العربي – بيروت – الطبعة: 1416/03 هـــ.

- **معالم السنن** للخطابي – المطبعة العلمية – حلب، الطبعة: 1351/01 هـــ.

المنارة للاستشارات
www.manaraa.com